

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ [غافر: 21 - 22]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

بعد أن بيّنت الآيات السابقة أن الله تعالى سيقضي بالحق بين عباده يوم التلاق في كل ما صدر منهم، ويدخل في ذلك: خاتمة الأعين، وما تخفي الصدور، وادّعاؤهم آلهة من دونه، وسيجازيهم على ذلك جزاء عادلاً لا يشوبه نوعٌ من الظلم مطلقاً؛ ناسب أن ينتقل "مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي إِذْذَارِهِمْ بَعْدَ الْآخِرَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ، إِلَى مَوْعِظَتِهِمْ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عَذَابُ الدُّنْيَا قَبْلَ عَذَابِ الْآخِرَةِ، مِثْلَ مَا حَلَّ بِأَمَمٍ أَمْثَالِهِمْ"⁽¹⁾، مِمَّنْ جَاؤُوا قَبْلَهُمْ.

الانتقال من
إنذار الكافرين
بعذاب الآخرة
إلى تحذيرهم
من عذاب الدنيا

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿عَقِبَهُ﴾: (عقب) أَصْلَانِ صَحِيحَانِ؛ أَحَدُهُمَا: يَدُلُّ عَلَى تَأْخِيرِ شَيْءٍ وَإِتْيَانِهِ بَعْدَ غَيْرِهِ، وَالْأُصْلُ الْآخَرُ: يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَشِدَّةٍ وَصُعُوبَةٍ⁽²⁾، قَالَ الْخَلِيلُ: كُلُّ شَيْءٍ يَعْقُبُ شَيْئًا فَهُوَ عَقِبُهُ، كَقَوْلِكَ: خَلَفَ يَخْلُفُ، بِمَنْزِلَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِذَا مَضَى أَحَدُهُمَا عَقَبَ الْآخَرُ⁽³⁾، وَالْعَاقِبَةُ إِطْلَاقُهَا يَخْتَصُّ بِالنُّوَابِ نَحْوَ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَالْعَقِيبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83]، وَبِالإِضَافَةِ قَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي الْعُقُوبَةِ، نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿نَمَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24 / 119.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).

(3) الفراهيدي، العين: (عقب).

كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا⁽¹⁾ [الرّوم: 10]، إلّا ما كان من الإضافة نحو: ﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [الأنعام: 135]

[القصاص: 37] وغير ذلك، والعاقبة في الآية تعني: المصير السيئ.

(2) ﴿أَشَدُّ﴾: (شد) أصل واحد يدل على قوّة في الشّيء⁽²⁾. فالشدُّ: العقد القويّ، يُقال: شَدَدْتُ الشّيءَ شَدًّا أَشَدُّهُ: قَوَّيْتُ عَقْدَهُ، قال الله: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: 28]، والشدّة تُستعمل في العقد، وفي البدن، وفي قوى النّفس، وفي العذاب⁽³⁾، والمعنى الأخير هو ما تقصده الآية.

(3) ﴿وَعَاثَرَا﴾: (أثر) أصل يدل على تقدّم الشّيء، وذكّر الشّيء، ورسم الشّيء الباقي⁽⁴⁾، فأثر الشّيء: حصول ما يدل على وجوده، يُقال: أثر وأثر، والجمع: آثار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: 27]، ومنه ما معنا هنا في الآية⁽⁵⁾.

(4) ﴿يَذُنُّبُهُمُ﴾: (ذنب) أصول ثلاثة: أحدها: الجرّم، يُقال: أَذْنَبَ يَذْنِبُ، والاسم الذَّنْبُ⁽⁶⁾، ويعني: الأخذ بذنب الشّيء، يُقال: ذَنْبَتُهُ: أصبت ذنبه، ويستعمل في كلّ فعل يُستوخم عقابه، اعتباراً بذنب الشّيء، ولهذا يُسمّى الذَّنْبُ: تبعّة، اعتباراً لما يحصل من عاقبته، وجمع الذَّنْبُ: ذُنُوب، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 7]، وهو المعنى المراد في الآية.

(5) ﴿وَاقٍ﴾: (وقي) كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بغيره، يُقال: وَقَيْتُهُ أَقِيهِ وَقِيًّا، والوقاية: ما بقي الشّيء، وَاتَّقِ اللَّهَ: تَوَقَّه، أي: اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَالِوَقَايَةِ⁽⁸⁾، والوقاية: حفظ الشّيء ممّا يؤذيه ويضرّه، قال تعالى: ﴿وَوَقَّيْنَاهُم عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: 56]، وهو المعنى المراد هنا.

(1) الرّاعب، مفردات القرآن: (عقب).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شدّ).

(3) الرّاعب، مفردات القرآن: (شدّ).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أثر).

(5) الرّاعب، مفردات القرآن: (أثر).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذنب).

(7) الرّاعب، مفردات القرآن: (أذنب).

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقي).

(9) الرّاعب، مفردات القرآن: (وقي).

(6) ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: (بين) أَصْلٌ وَاحِدٌ، وهو بَعْدُ الشَّيْءِ وَانْكِشَافُهُ. يُقَالُ: بَانَ الشَّيْءُ وَأَبَانَ، إِذَا اتَّضَحَ وَانْكَشَفَ. وَقُلَانُ أَبِينُ مِنْ فُلَانٍ؛ أَيُّ: أَوْضَحُ كَلَامًا مِنْهُ⁽¹⁾، وَالْبَيِّنَةُ: الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ، عَقْلِيَّةٌ كَانَتْ أَوْ مُحَسَّسَةً، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [هود: 17]⁽²⁾، ومنه المعنى المقصود في الآية.

(7) ﴿قَوِيٌّ﴾: (قوي) أَصْلَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى شِدَّةٍ وَخِلَافٍ ضَعْفٍ، ومنه: الْقُوَّةُ، وَالْقَوِيُّ: خِلَافُ الضَّعِيفِ⁽³⁾، وَالْقُوَّةُ تَسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْقُدْرَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: 63]، وَتَارَةً فِي الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الجادلة: 21]⁽⁴⁾.

(8) ﴿الْعِقَابِ﴾: (عقب) أَصْلَانِ صَحِيحَانِ؛ أَحَدُهُمَا: يَدُلُّ عَلَى تَأْخِيرِ شَيْءٍ وَاتِّبَانِهِ بَعْدَ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ: عَاقَبْتُ الرَّجُلَ مُعَاقِبَةً وَعُقُوبَةً وَعِقَابًا، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ عُقُوبَةً؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ آخِرًا وَثَانِي الذَّنْبِ⁽⁵⁾، وَالْعُقُوبَةُ وَالْمُعَاقِبَةُ وَالْعِقَابُ يَخْتَصُّ بِالْعَذَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: 14]⁽⁶⁾، والمعنى في الآية: العذاب.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

تستنكر الآية الأولى غفلة مشركي مكة وما حولها من القرى عن الاتعاظ بالعذاب الذي أنزله الله بالأمم السابقة؛ كعادٍ وتمدّدٍ وغيرهم من الأقوام الذين كذبوا رُسُلهم، وكانوا يعيشون على الأرض القريبة منهم وفي طريقهم، ومع ذلك لم يأخذوا درسًا ممّا حلّ بهم، على الرغم من أنّهم كانوا أشدّ قوّة وأكثر أموالاً وأولاداً

الكفرُ بآيات الله
البيّنات سبب
هلاك الأمم
مهما كانوا
ومهما بلغوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).

(2) الزّاغب، مفردات القرآن: (بين).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (قوي).

(4) الزّاغب، مفردات القرآن: (قوي).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).

(6) الزّاغب، مفردات القرآن: (عقب).

من مشركي مكة، وقد مكّنه الله في الأرض فأثاروها وزرعوها، وصاروا أصحاب مدين وحضارة وزراعة وصناعة وقوة، وغير ذلك من الإمكانيات التي لم تحل بينهم وبين عذاب الله حين حصل لهم، وتبين الآية الثانية أن السبب الرئيس في عقابهم هو كفرهم بالآيات البينات، والحجج الواضحات التي أرسل الله تعالى بها رسله إليهم، ما ترتب عليه أن ينزل الله بهم أشد أنواع العذاب⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نكتة فصل الآية عن سابقتها:

جاءت جملة: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ مفصولة عما قبلها؛ لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً، فيما يسمّى كمال الانقطاع، الذي تنفصل فيه الجمل لفظياً، إلا أن بينها من وشائج القربى والارتباط ما يجعلها شديدة الاتصال في المعنى.

بلاغة الاستفهام في جملة: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾:

الهمزة في جملة: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ للاستفهام التقريري، القاصد إلى تقرير مشركي مكة بأنهم رأوا آثار العذاب الذي نزل بالأمم السابقة، أثناء سفرهم من مكة إلى الشام واليمن، ليدلّف من خلال ذلك الإقرار إلى أن من الواجب عليهم أن يتّعظوا ويحذروا، وذلك جرياً "على ما هو الشائع في مثله من الاستفهام الدّاخل على نفّي في الماضي بحرف (لم)"⁽²⁾. ويمكن أن يكون الاستفهام لإنكار غفلة مشركي مكة، وتوبيخهم على عدم اتّعاظهم بالعذاب الذي تأكّدوا من نزوله بمن سبقهم من الأقوام الذين كفروا برسلهم، وعدم الحذر من أن ينزل بهم مثل ما نزل بغيرهم، بسبب إصرارهم على الكفر وتمسّكهم به⁽³⁾.

(1) حجازي، التفسير الواضح: 297 / 3، 298.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 119 / 24.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 1 / 44، والألوسي، روح اللعاني: 413 / 12، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 473 / 8.

كمال الانقطاع
باختلاف
الجملتين خبراً
وإنشاءً

السّير الخالي
من الاتّعاظ
والاعتبار يوجب
التوبيخ والإنكار

معنى الواو ودلائلها على المحذوف في ﴿أَوَلَمْ﴾:

الواو في ﴿أَوَلَمْ﴾ من قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لعطف ما بعدها على مُقَدَّرٍ محذوفٍ يقتضيه المقام، والمعنى: اغفلوا ولم يسيروا!١

دلالة التعبير بصيغة المضارع في ﴿يَسِيرُوا﴾ و﴿فَيَنْظُرُوا﴾:

عبر النظم الكريم عن فعلي السير والنظر في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ بصيغة المضارع؛ لما يفيد من تجدد غفلتهم مع تجدد سيرهم، وأنَّ الأولى بهم أن ينظروا ويتأملوا كلَّما ساروا؛ لأنَّ تجدد السير يدعو إلى تجدد النظر، وتجدد النظر يدعو إلى تجدد الموعظة والحدِّر ممَّا يوجب ذلك المصير، ومن ثمَّ يحصل المقصود، وهو الإيمان المُفضي للنَّجاة من عذابي الدُّنيا والآخرة.

نُكْتَةُ إِسْنَادِ فِعْلِ السَّيْرِ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمَاعَةِ:

آثر النظم الكريم إسنادَ فعلِ السَّيرِ إلى ضمير الجماعة في ﴿يَسِيرُوا﴾، مع أنَّ السَّائرين هم الذين اعتادوا السَّفر والانتقال، وليس جميع أهل مكة؛ لأنَّهم كانوا بعد العودة إلى مكة يُحدِّثون الذين لم يبرحوها عمَّا شاهدوه من آثار عادٍ وثمودٍ وغيرهم ممَّن مرَّوا عليهم، وينقلون لهم الصَّورة نقلاً مطابقاً، حتَّى صاروا كأنَّهم رأوها بأعينهم، مع أنَّهم ما كانوا في مكة لم يخرجوا منها، ما يدلُّ على أنَّ أمرَ الهالكين "عَدَا مَعْلُومًا لِلْجَمِيعِ، فِهَذَا الْإِعْتِبَارُ أُسْنِدُ الْفِعْلِ الْمُقَرَّرُ بِهِ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ عَلَى الْجُمْلَةِ"⁽¹⁾.

نُكْتَةُ تَعْدِيَةِ فِعْلِ السَّيْرِ بِ﴿فِي﴾ دُونَ ﴿عَلَى﴾:

جاء بفعل السير مُتَعَدِيًا إِلَى ﴿الْأَرْضِ﴾ بحرف ﴿فِي﴾ المفيد للطَّرْفِيَّةِ، في قوله تعالى: ﴿*أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ دون (على)؛ لأنَّ الثَّانِي يُشْعِرُ بِالْمُرُورِ السَّرِيعِ الَّذِي لَا يُعِينُ عَلَى التَّأَمُّلِ وَعَمَقِ النَّظَرِ، بخلاف حرف الوعاء ﴿فِي﴾ الدَّالُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ

تجدد السير
يدعو إلى تجدد
النَّظر، وتجدد
النَّظر يدعو إلى
تجدد العظة
والحدِّر

هالك الكفار
السَّابقين أمرٌ
معلومٌ لمشركي
مكة ومَن حولها

حرف الوعاء
(في) أدلُّ على
تمكُّن السَّائرين
وتقلُّبهم في
أرض الهالكين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24 / 119.

سيرَ المتمكّن من الأرض، المتقلّب فيها، وهو سيرٌ أدعى للتّفكّر والاعتبار⁽¹⁾. وثمّ أمرٌ آخر؛ هو الدّلالة على أنّ آثار المشركين الهالكين كثيرة، ومنتشرة في الأرض انتشاراً يحيط بمن يمشي عليها، كما يحيط الظرف بالمظروف، ما يدلّ على أنّ التّفكّر والاتّعاظ بمصائرهم يفرض نفسه على كلّ من يسير في أرضهم.

معنى (أل) في ﴿الْأَرْضِ﴾:

(أل) في ﴿الْأَرْضِ﴾ لتعريف الجنس، والمعنى: أنّ "أيّ أرضٍ ساروا فيها وعظّمَتهم بما حوت من الأعلام"⁽²⁾، ويمكن أن تكون للعهد الذّهنيّ، والمقصود بها أرض عادٍ وثمودٍ وغيرهم من الأقوام التي تقع في طريق رحلتهم إلى الشام واليمن.

معنى الفاء في ﴿فَيَنْظُرُوا﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ حرفٌ عطفٍ يُفيد تَسَبُّبَ النَّظَرِ والاعتبار وترتّبهُ على السّير في الأرض، ما يعني: أنّ السّير والترّحال يجب أن يكون مقروناً بالتّفكّر والتأمّل. وفيه كذلك تأكيدٌ لأنّ تجدد السّير مدعاةٌ إلى تجدد النّظر، وأنّ أيّ سيرٍ خالٍ من التّفكّر والاعتبار هو سيرٌ يوجب التّوبيخ والإنكار.

بلغة الاستفهام في قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ﴾:

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ﴾ جملةٌ في محلّ نصبٍ مفعول ﴿فَيَنْظُرُوا﴾، و﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام في محلّ نصب خبرٍ مقدّم لـ ﴿كَانَ﴾، و﴿عَقِبُهُ﴾ اسمها، والغرض من الاستفهام: تهويل ما نزل بالكافرين السّابقين من العذاب وتفخيمه، والإشارة إلى أنّه عذابٌ من الشّدّة والقوّة والغرابة بمكان⁽³⁾؛ وأنّه حلّ بهم بسبب اجترائهم على الكفر بالله، واتّخاذهم آلهةً من دونه، يُزاد على ذلك التّحذيرُ

أَيُّ أَرْضٍ يَسِيرُ
النَّاسُ عَلَيْهَا
تَعِظُهُمْ بِمَا
تَحْوِيهِ مِنَ الْآثَارِ
وَالْأَعْلَامِ

يَتَرْتَّبُ عَلَى السَّيْرِ
فِي الْأَرْضِ النَّظَرُ
وَالْتَفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ

مِنْ أَغْرَاضِ
الْإِسْتِفْهَامِ
الْتِهْوِيلِ
وَالْتَفْخِيمِ،
وَالْتَنْبِيْهِ
وَالْتَحْذِيرِ

(1) الخضرى، من أسرار حروف الجرّ في الذّكر الحكيم، ص: 125.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 44 / 17.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 44 / 17.

من إيمان نزول مثله بمشركي مكة إن هم استمروا على ما هم فيه من كفر بالله، وعناد لرسوله.

نُكْتَةُ تذكير الفعل ﴿كَانَ﴾:

وردت كلمة ﴿عَقِبَهُ﴾ في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرةً بمعنى العذاب، ومنها هذه الآية، ما يعني أنَّ السَّرَّ في تذكير الفعل ﴿كَانَ﴾ هو أنَّ الفاعل مُذَكَّر، فيما يعرف بالحمل على المعنى⁽¹⁾، يُزاد عليه أنَّ تذكير الفعل فيه تأكيدٌ لقوَّة العذاب الذي نزل بالكافرين السابقين وشدَّته، حيثُ أهلك الإنسان، وأحدث الدمارَ بالبنيان؛ بناءً على ما هو معروفٌ من أنَّ طبيعةَ الذِّكْرِ أقوى وأشدُّ من الأنثى⁽²⁾.

نُكْتَةُ الإضافة في قوله: ﴿عَقِبَهُ الَّذِينَ كَانُوا﴾:

أضاف النظم لفظ ﴿عَقِبَهُ﴾ إلى ﴿الَّذِينَ كَانُوا﴾؛ للتنبيه على أنَّ العذاب الذي يدعو الله تعالى مشركي مكة إلى تأملِّه والنَّظَرِ فيه، والنهاية الأليمة التي أخذ بها السابقون صارت علامةً عليهم، وملتصقةً بهم التصاقاً لا يمكن انفكاكه، بسبب "عراقتهم في الكفر وأصالتهم في اعتناقه"⁽³⁾.

غرض التعبير عن الكافرين بالاسم الموصول:

عبَّر النظم عن الكفار السابقين باسم الموصول في قوله: ﴿الَّذِينَ﴾، دون (عاد وثمود) وغيرهما؛ ليعمَّ التعبيرُ به جميعَ الكفار المتقدمين من غير تخصيص؛ لأنَّهم جميعاً أخذوا بأشدَّ أنواع العذاب وأبشعه. ويمكن أن يكون القصدُ من التعبير بالموصول هو ذمُّهم، والتحقيرُ من شأنهم، وبيانُ سببِ أخذهم، وازدراءُ ذِكْرهم في القرآن بأسمائهم؛ لما في الذِّكْرِ من التَّشْرِيف والرفعة.

تذكير الفعل فيه تأكيد على قوَّة العذاب الذي نزل بالكافرين

الهالكون السابقون صاروا معروفين بالعذاب الذي أخذوا به

ذمُّ الكافرين والتحقير من شأنهم، وبيان السبب في أخذهم

(1) الإسكافي، دُرَّة التنزيل وعرَّة التأويل: 2/ 764، والسامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، ص: 14، 15.

(2) اللليحي، صبحي إبراهيم، من بلاغة القرآن الكريم في حديثه عن هلاك عاد وثمود، ص: 40.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 44.

دلالة التعبير بفعل الكينونة:

عبر النظم الكريم في جملة الصلة بفعل الكينونة، فقال: ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ للتلميح إلى أنَّ هؤلاء الكافرين كانوا متمكِّنين في الأرض التي عاشوا عليها، "عريقين في عمارتها"⁽¹⁾، وكان لهم من الحول والطول والقوة في الكيان والتكوين ما يجعلهم آمنين مطمئنين، لا يتوقعون نزول العذاب، ولا يظنون الهلاك.

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾:

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هي البيانية، الدالة على قُرب بعض المشركين الهالكين بعذاب الله تعالى - زماناً ومكاناً - مِنْ مشركي مكة وما حولها، وأنَّ آثارهم لا تزال قائمة، تشهد بما حصل لهم ونزل بهم.

فائدة ذِكْرِ الظرفية: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾:

عبر البيان الكريم بالظرف ﴿قَبْلِهِمْ﴾ المجرور بـ ﴿مِنْ﴾ الابتدائية والبيانية، في قوله: ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ لتأكيد أنَّ هؤلاء الكفار كانوا سابقين في الزمان على كفار مكة ومشركيها، وأنَّ بإمكان أهل مكة أن يقفوا على ما حصل لهم من خلال المرور على أرضهم والسفر إليها؛ ليتأكدوا من صدق القرآن فيما أخبر به من عذابهم، وليحذروا مِنْ أن ينزل بهم مثل ما نزل بسابقيهم.

نكتة فصل قوله: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾:

جاءت جملة: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ مفصولة عن جملة: ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ لشبه كمال الاتصال الذي تجيب فيه الجملة الثانية عن سؤال آثارته الجملة السابقة في نفس المتلقي، تقديره: كيف كانوا؟ فتأتي الجملة الثانية لتوضِّح الإجابة عن هذا السؤال، ولتفصل عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 45/17.

الكافرون
الهالكون
كان لهم من
الحول والقوة
ما يجعلهم
في مأمن من
العذاب

مَنْ لم يتعظ
بما قبله وجب
عليه الهلاك

الآثار الباقية
شاهدة بما كان
من أخذ الله
تعالى الكفار
بعد عتوهم

مهما بلغ بأس
النَّائِبِينَ لله
فهو قادرٌ على
إهلاكهم

نُكْتَةُ دُخُولِ ضَمِيرِ الْفَصْلِ «هُمْ»:

«هُمْ» في قوله: «كَانُوا هُمْ أَشَدَّ» ضَمِيرُ فَصْلٍ عَائِدٌ إِلَى الْكُفَّارِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى مُشْرِكِي مَكَّةَ، الْمُعْبَّرِ عَنْهُمْ بِـ «الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ»، والغرض من التعبير به: تقوية وتأكيدهُ أَنَّ الَّذِينَ مَضَوْا مِنَ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً مِنَ الْكُفَّارِ الْحَاضِرِينَ، وَأَقْوَى آثَارًا فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ⁽¹⁾، وَأَنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَعِصُوا عَلَى اللَّهِ حِينَ أَرَادَ إِهْلَاكَهُمْ، وَهُوَ مَا يَعْنِي: سَهُولَةَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِمَنْ دُونَهُمْ فِي الْقُوَّةِ، وَإِمْكَانَ أَخْذِهِمْ مِنْ بَابٍ أَوْلَى.

دلالة التعبير باسم التفضيل:

«أَشَدَّ» في قوله: «كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» خبرٌ (كان) منصوب، وأوثر التعبير عنه بصيغة التفضيل للدلالة على أَنَّ الْكُفَّارَ السَّابِقِينَ كَانُوا أَفْضَلَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا فِي الْقُوَّةِ وَالْآثَارِ، وَأَنَّ هَذِهِ الشَّدَّةَ كَانَتْ فِي كَيْنُونَتِهِمْ، بِمَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَ هَلَاكَهُمْ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ أَمْرًا مُسْتَعْرَبًا وَمُحْذَرًا.

معنى (مِنْ) فِي «مِنْهُمْ»:

(مِنْ) في قوله: «أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» هي التفضيلية، التي تدلُّ على أَنَّ الْمَشْرِكِينَ الْهَالِكِينَ كَانُوا يَتَفَوَّقُونَ عَلَى كُفَّارِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا فِي الْقُوَّةِ وَالْآثَارِ وَغَيْرِهَا.

توجيه القراءات في «مِنْهُمْ»:

في قوله تعالى: «كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً»، قَرَأَ الْجُمْهُورُ «مِنْهُمْ» بِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ جَرِيًّا عَلَى الظَّاهِرِ؛ اِزْدِرَاءً لِلْمَخَاطَبِينَ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَتَنَزِيلًا لَهُمْ مَنزِلَةَ الْغَائِبِ عَنِ الْوَعْيِ وَحُضُورِ الذَّهْنِ فِي عَدَمِ الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ، "وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: «مِنْكُمْ» بِضَمِيرِ الْخِطَابِ عَلَى

الْكُفَّارِ السَّابِقُونَ
لَمْ يَسْتَعِصُوا
عَلَى اللَّهِ زَعْمًا
قُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ

الشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ
كَانَتْ مَوْجُودَةً
فِي كَيْنُونَةِ الْكُفَّارِ
الْمُتَقَدِّمِينَ

في القراءات إثراء
للمعنى وزيادة
توضيح

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 505 / 27، بتصرف.

سَبِيلِ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ؛ لِلتَّصْيِصِ عَلَى الْمَرَادِ⁽¹⁾،
وَلِقَرَعِ أَسْمَاعِ الْمُخَاطَبِينَ وَحَثُّهُمْ عَلَى التَّفَكُّرِ فِيمَا آلَ إِلَيْهِ حَالُ
السَّابِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ ﴿مِنْهُمْ﴾:

قُدِّمَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ ﴿مِنْهُمْ﴾ عَلَى التَّمْيِيزِ ﴿قُوَّةً﴾؛ لِأَنَّ الْإِهْتِمَامَ
مَوْجَهٌ لِبَيَانِ أَفْضَلِيَّةِ الْكَفَّارِ السَّابِقِينَ عَلَى كَفَّارِ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا مِمَّنْ
يَكْفُرُونَ بِرِسَالَتِهِ ﷺ.

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ ﴿قُوَّةً﴾:

جِيءَ بِاللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى التَّمْيِيزِ ﴿قُوَّةً﴾ نَكْرَةً لِمَا يَفِيدُهُ التَّنْكِيرُ
مِنَ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ وَأَسَّاعِ مَعْنَى الْقُوَّةِ وَشَمُولِهِ كُلِّ مَا يُسْتَقْوَى
بِهِ، سَوَاءً أَكَانَ حَسِيًّا، مَثَلُ: ضَخَامَةِ الْبَنِيَانِ وَكَثْرَةِ الْجُنُودِ وَتَوَفُّرِ
الْأَسْلِحَةِ وَتَنَوُّعِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَمْ مَعْنَوِيًّا، مَثَلُ: الْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ
وَالِاسْتِقْرَارِ وَوُفُورِ سَائِلِ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْغَيْرِ، وَكُلُّ مَا يَجْعَلُ الْحَيَاةَ
أَمْنَةً مَرْضِيَّةً.

بَلَاغَةُ الْكِنَايَةِ فِي لَفْظِ ﴿قُوَّةً﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِلَفْظِ: ﴿قُوَّةً﴾ قَاصِدًا بِهِ الْقُوَّةَ بَنَوَعِهَا
الْحَسِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، وَمُكْنِيًّا بِهِ عَنِ شِدَّةِ إِبَاءِ الْكَافِرِينَ
السَّابِقِينَ مِنَ الْحَقِّ، وَتَزَايِدِ نَفُورِهِمْ مِنْ دَعْوَةِ رَسَلِهِمْ إِلَى تَوْحِيدِ
اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ⁽²⁾، مَا يَعْنِي: أَنَّهُمْ بَلَّغُوا فِي الْإِبَاءِ وَالنَّفُورِ مِنْ
الِاسْتِجَابَةِ لِرَسْلِ اللَّهِ مَبْلَغًا لَا حُدُودَ لَهُ.

مَعْنَى الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَاثَارًا﴾:

الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَاثَارًا﴾ لِعُطْفِ مَا بَعْدَهَا عَلَى ﴿قُوَّةً﴾، وَهِيَ

الْكَفَّارُ لِلتَّقَدُّمِ
كَانُوا بِتَمَتُّعٍ
بِالْقُوَّةِ الْحَسِيَّةِ
وَالْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ

الْكَفَّارُ السَّابِقُونَ
كَانُوا شَدِيدِي
النَّفُورِ مِنْ
دَعْوَةِ رَسَلِهِمْ
إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ
وَعِبَادَتِهِ

(1) أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ لِلْحَيْطِ: 9/ 248، وَالْبَقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَرِ: 17/ 45، وَيُنْظَرُ: ابْنُ الْجَزَرِيِّ، النُّشْرُ: 2/

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 24/ 120.

تدلّ على أنّ السّابّقين من الكفّار كانوا أفضل من مشركي مَكَّة وما حولها في إثارة الأرض وإعمارها، كما كانوا أفضل منهم في القوّة، ويشهد لذلك الآثارُ الباقيةُ الدّالة على قوّتهم وحضارتهم، من أمثال الأهرامات، ومدائن صالح، ومنازلِ ثمود، وغيرها ممّا يُفيد أنّهم جمعوا بين القوّة العسكريّة والقوّة الاقتصاديّة.

نُكْتَةُ تَنْكِيرٍ ﴿وَعَاثَرَا﴾:

في قوله: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَعَاثَرَا﴾ جيءَ بالمعطوف ﴿وَعَاثَرَا﴾ نكرة؛ لما يفيده التّنكير من التّعظيم والتّفخيم واتّساع معنى الأثر وتنوّعه، ليشمل كلّ ما تركه الكفّار المتقدّمون من قصور فارهة، ومبانٍ شاهقة، وقلاع حصينة، وتماثيل ضخمة، وآثارٍ أقدم باقية، وغير ذلك ممّا بقي شاهداً على قوّتهم؛ "فإنّ آثارهم لم يندرس بعضها إلى هذا الزّمان، وقد مضى عليها ألوف من السّنين، وأمّا المتأخّرون فتنطمس آثارهم في أقلّ من قرن"⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التّعبير بحرف الظّرفيّة ﴿فِي﴾:

التّعبير بحرف الجرّ ﴿فِي﴾ المفيد للظّرفيّة في قوله: ﴿وَعَاثَرَا فِي الْأَرْضِ﴾، الواقع مع مجروره في محلّ نصب صفة لـ(عَاثَرَا)، يدلّ على رسوخ الآثار التي تركها الكفّار الأقدمون في الأرض، وشدّة التصاقها بها، يُزادُ على ذلك أنّ بعضها يمثل جزءاً من الأرض لا ينفصل عنها، وبعضها الآخر يغوصُ في أعماق الأرض، ممّا جعلها ثابتةً باقيةً إلى يومنا هذا، وجعل الأرض تحيطُ بها كما يحيطُ الظّرفُ بالمظروف.

معنى (أَل) في ﴿الْأَرْضِ﴾:

(أَل) في ﴿الْأَرْضِ﴾ لتعريف العهد، إذ المقصود بها: الأرض التي كانوا يعيشون فيها، وشيّدوا عليها القلاع والحصون والقصور،

الكفّار السّابّقون
كانوا أفضل من
مشركي مَكَّة
في إثارة الأرض
وإعمارها

آثارُ الأقدمين لم
يندرس بعضها،
وقد مضى عليها
ألوف السّنين

بعض الآثار
يُمثّل جزءاً من
الأرض، وبعضها
يغوص في أعماق
الأرض

أرض الهالكين
معروفةٌ
معهودةٌ لمن
يريد العِظةَ
والاعتبارَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 45 / 17.

وأقاموا المدن والحضارات القديمة، مثل أرض عاد، وأرض ثمود في الجزيرة العربية، وأرض الفراعنة في مصر القبطية، وغير ذلك ممّا هو معروف للمخاطبين.

نُكْتَةُ إِعَادَةِ الظَّرْفِيَّةِ: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾:

كان مقتضى الظاهر أن يُعَبَّرَ عن ﴿الْأَرْضِ﴾ بالضّمير، فيقال: (كانوا هم أشدّ منهم قوّةً وآثراً فيها)، لكنّ البيان عدلٌ عن التعبير بالضّمير وأعاد الاسم الظاهر، فقال: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾؛ لتأكيد تمكّن الكفار السابقين من الأرض التي سار عليها مشركو مكة، وتقوية ظهور آثارهم فيها، وعدم خفائها على السّائرين.

معنى الفاء في ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾ تُفيد تَسْبُبَ الأخذِ والهلاكِ عن القوّةِ والمنعة، والمعنى: "لما كانت قوتهم ومُكْنَتُهُمْ سبباً لإعجابهم وتكبرهم على أمر ربهم، وإصرارهم على الكفر به، ومعاودة رُسُلِهِ؛ كان ذلك سببَ هلاكهم"⁽¹⁾.

بلاغة التعبير بالأخذ:

في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ استعارةٌ تصرّحيةٌ؛ "شَبَّهَ فيها نزولُ العذاب والاستئصال بهم بالمأخوذِ باليدِ، المتصرّف فيه بحُكْمِ إرادةِ الأخذِ"⁽²⁾، بجامع التّمكّن والاعتدالِ في كلٍّ، ثمّ استُعيِرَ الأخذُ للعذاب والاستئصال على سبيل الاستعارة التّصريحيّة التّبعية، التي تُصوّر سهولةَ أخذِ الله تعالى وإهلاكِهِ لهؤلاءِ المشركين على الرّغم من قوتهم، كما أنّها تَبَيَّنَت الرّعبُ في نفوسِ المخاطبين؛ لما توكّده من قُدرةِ الله على إهلاكهم، كما أَهْلَكَ مَنْ سَبَقُوهُمْ مَنْ كانوا أشدّ منهم قوّةً وآثاراً في الأرض.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 45 / 17.

(2) أبو حنّان، البحر المحيط: 39 / 3.

لا يمنع الكافرين
من الهلاك
شدة بأسهم
وتمكّنهم من
أرضهم

قوة الكافرين
كانت سبباً
في غرورهم
وأخذهم

عذاب المشركين
- مهما بلغوا من
القوة - سهل
يسير على الله
ربّ العالمين

والتَّعْبِيرُ بالأخذ يوحي بالقوَّة والشَّدَّة التي لا توجَد في غيره من ألفاظ العذاب؛ لدلالته في الأصل على الحَوَظ والجمع⁽¹⁾، ما يوحي بأنَّه حصل بنوع من القوَّة والشَّدَّة التي لا نظير لها، كما أنَّه اسْتُعْمِلَ لِأَنَّ "مَنْ يَنْزِلُ بِهِ الْعِقَابُ يَصِيرُ كَالْمَأْخُوذِ الْمَأْسُورِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّخَلُّصِ"⁽²⁾.

عَذَابُ اللَّهِ
محيط ومُحْكَم،
لا يمكن أن
يُفْلِتَ منه أحدٌ

دلالة التعبير عن فاعل الأخذ باسم الجلالة العَلَم:

التَّعْبِيرُ عن فاعل الأخذ باسم الجلالة العَلَم، الذي لا يُعَبَّرُ بِهِ إِلَّا فِي مواضع التَّأْلِيهِ والتَّعْظِيمِ، في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾، فيه تفخيمٌ للأخذ وتهويل؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - بما له من صفات الكمال والقوَّة والسَّطُوَّة - هو الذي تَوَلَّاهُ بنفسه وأنزله بقدرته، وفيه من إرعاب المشركين وتهديدهم ما تتخلَّعُ به قلوبُهم، وترجُفُ له أفئدتُهم. وفيه كذلك دعوةٌ للإيمان بالله وتوحيده وإخلاصِ العبادة له؛ فذلك المقصود الأعظم، والمُرَادُ الأفخم من النُّبُوَّة والكِتَاب، وما أودِعَ فِيهِ من هذه القَصَص.

إرعابٌ للمشركين
وتهديدٌ لهم
بما تنخلعُ
به قلوبُهم،
وترجُفُ له
أفئدتُهم

معنى الباء في قوله: ﴿يَذُنُّوهُمْ﴾:

الباء في قوله: ﴿يَذُنُّوهُمْ﴾ تدلُّ على تَسَبُّبِ الذُّنُوبِ التي ارتكبوها في نزول العذاب بهم، على وجه من القوَّة والشَّدَّة التي سبق بيانُها، يُزَادُ على ذلك: الدَّلَالَةُ على أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَنْزَلْ بِهِمْ ظُلْمًا وعدوانًا، وأنَّهم هم الذين جلبوه لأنفسهم.

الكافرون
هم الذين
جلبوا العذاب
لأنفسهم

نُكْتَةُ جَمْعِ الذُّنُوبِ وإضافتها إلى ضمير الكافرين:

الذُّنُوبُ: جَمْعُ ذَنْبٍ، وهو المَعْصِيَةُ⁽³⁾، وأوثر التَّعْبِيرُ عنها بلفظ الجمع؛ للإشارة إلى كثرتها وتنوُّعها، وأنَّها لم تقتصر على الشَّرِكِ بالله تَعَالَى وتكذيب رسله - الذي يُعَدُّ أعظمُها وأقبحُها - وإنَّما

ذنوب المشركين
المتعددة
المتنوعة تدلُّ
على استهانتهم
بالعذاب

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخذ).

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 154 / 7.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 120 / 24.

تَوَّعَّتْ وَتَعَدَّدَتْ بما يُفِيدُ اجْتِرَاءَهُمْ وَاسْتِهَانَتَهُمْ بما كَانَ يُحَدِّثُهُمْ مِنْهُ الرُّسُلُ الْكَرَامُ. وَفِي إِضَافَةِ الذَّنُوبِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَذُنُّبُهُمْ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهَا صَارَتْ سَمَةً بَارِزَةً لَهُمْ، وَوَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي يُعْرِفُونَ بِهَا، وَلَا تُصَرَّفُ إِلَّا إِلَيْهِمْ عِنْدَ ذِكْرِهَا.

معنى الواو في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُنُّبُهُمْ﴾، وفي التعبير بها دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ الَّذِي نَزَلَ بِالسَّابِقِينَ كَانَ مَصْحُوبًا بِالْعِزِّ عَنِ الْوَقَايَةِ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ، وَبِأَيِّ شَكْلِ مِنَ الْأَشْكَالِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ مُحِيطًا، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ تَحْذِيرِ شَعِيبٍ قَوْمَهُ: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود: 84]، وقوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60]، وقوله سبحانه وبحمده: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أَحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: 22].

فائدة التعبير بـ ﴿وَمَا كَانَ﴾:

(ما) في قوله: ﴿وَمَا كَانَ﴾ حَرْفُ نَفْيٍ يُفِيدُ بِمَعْنَاهُ وَمَبْنَاهُ الْمُخْتَوَمَ بِحَرْفِ الْمَدِّ انْتِفَاءً وَجُودِ أَيِّ وَاقٍ يَبْقَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عِنْدَ نَزُولِهِ بِهِمْ، انْتِفَاءً قَاطِعًا لَا حُدُودَ لَهُ، وَدُخُولُهُ عَلَى فِعْلِ الْكَيْنُونَةِ الْمَاضِي: ﴿كَانَ﴾ يَدُلُّ عَلَى انْعِدَامِ وَجُودِ الْوَاقِي لِكُلِّ الْأُمَمِ، وَتَحَقُّقِ انْتِفَائِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَوْ رَيْبٍ، وَالْمَعْنَى: "لَمَّا نَزَلَ الْعَذَابُ بِهِمْ عِنْدَ أَخْذِهِ تَعَالَى لَهُمْ، لَمْ يَجِدُوا مَنْ يُعِينُهُمْ وَيُخَلِّصُهُمْ" (1).

معنى اللام في ﴿لَهُمْ﴾، وَنُكْتَةُ تَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ:

اللام في ﴿لَهُمْ﴾ في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ حَرْفُ جَرٍّ يُفِيدُ الْاِخْتِصَاصَ، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ وَجُودِ وَاقٍ خَاصٍّ بِهِمْ، أَوْ شَفِيعٍ يَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ فِيهِمْ، أَوْ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُدْفَعَ عَنْهُمْ

هلاک الکفار
السابقين
كان مصحوباً
بالعجز عن
الوقاية منه بأي
شكل

عند نزول
العذاب
بالمشركين لم
يجدوا من
يعينهم أو
يخلصهم

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 505 / 27.

العذاب بسببه، ما يعني بلوغ غضب الله عليهم درجة لا يرجى عندها أي عفو؛ لأنه سبحانه أمهلهم بما فيه الكفاية. وقَدَّم النَّظْمُ الكريم المُسْنَدَ: ﴿لَهُمْ﴾ على المسند إليه: ﴿وَاقٍ﴾؛ للاهتمام بنفي وجود واقٍ يقيههم العذاب أو يدفعه عنهم؛ تعجيلاً بالمساءة ومبالغة في الخزي والحسرة.

معنى ﴿مَنْ﴾ في ﴿مَنْ أَلَّهِ﴾:

قوله: ﴿مَنْ أَلَّهِ﴾ جارٌّ ومجرور متعلق بـ ﴿وَاقٍ﴾، و﴿مَنْ﴾ فيه ابتدائية تدلُّ على "أنَّ الأخذ في غاية العنف إذا لم يبتدئ من جهته تعالى لهم وقاية، لم تكن لهم باقية، بخلاف من عاقبه الله عقوبة تأديب، فإنَّ عذابه يكون سبب بقاءه؛ لما يحصل له منه سبحانه من الوقاية"⁽¹⁾.

نُكْتَةُ إظهار اسم الجلالة في موضع إضماره:

كان مقتضى الظاهر أن يُقال: (وما كان لهم منه من واق) أو (من عذابه من واق)، ولكنَّ النَّظْمُ الكريم عدلَ عن ذلك إلى إظهار اسم ﴿أَلَّهِ﴾ العَلَمَ؛ "لأنَّ اسمَ الجلالة بمدلوله الكريم له وقعٌ عظيمٌ في القلوب، والمراد من التعبير به تمكينُ الألوهية، وإشاعة هيمنتها في الضمائر، فتتمكَّن من النفوس زيادةً تمكُّن، وتقرَّر في السرائر أحسن قرار، وبذلك تتربَّى مهابةُ الله"⁽²⁾، وتزدادُ خشيةُ كفَّارٍ مَكَّةَ وغيرهم من غضبه ونزولِ عذابه بهم، كما نزل بالكفَّار السابقين عليهم.

معنى ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ وَاقٍ﴾:

﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ وَاقٍ﴾ هي البيانية التي تُؤكِّد استغراق النَّفْيِ وشموله كلِّ واقٍ يمكن أن يُتصوَّر قيامه بوقاية الكافرين، أو حمايتهم من عذاب ربِّ العالمين.

انتفاء وجود
الواقى أو
الشفيع دالٌّ على
بلوغ غضب الله
درجةً لا يمكن
عندها العفو

إذا لم تكن
الوقاية من الله
تعالى، فلن
تكون من أحدٍ
غيره

اسمُ الجلالة
بمدلوله الكريم
له وقعٌ عظيمٌ في
القلوب وأثرٌ كبيرٌ
في النفوس

(1) البقاعي، نظم الدرر: 46 / 17.

(2) أبو موسى، خصائص التراكيب، ص: 247.

نُكْتَةُ تَنْكِيرٍ «وَاقٍ»:

لم يَقي الكافرين
من عذاب الله
شيءٌ ممَّا يمكن
أن تذهب إليه
نفوس الكافرين

جاء بالمُسند إليه: «وَاقٍ» نكرة؛ لما يُفيد تَكْيِيرُ الاسم الواقع في سياق النَّفي من العموم، الذي يشمل كلَّ وَاقٍ أياً كان ومهما كان، ما يعني: أنه لم يَجْرُؤْ على وقاية الكافرين من عذاب الله أحدٌ من الملائكة أو الجنِّ أو الإنس، ولم يمنعه من الهلاك بناءً، ولا مقاومةً، ولا اختباءً، ولا فراراً، ولا غير ذلك ممَّا يمكن لنفس المُتلقِّي أن تذهب فيه كلُّ مذهب.

نُكْتَةُ فَصْلِ جَمَلَةٍ: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ»:

إذا جاء عذابُ
الله الكافرين
فلا دافع له ولا
راد

جاءت جملة: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ» مفصولة؛ لأنها كالبيان والتفصيل لما سبقها، ما يعني أنها فُصِلَتْ عنها لكمال الاتصال الذي تُنَزَّلُ فيه الجملة الثانية ممَّا قبلها منزلة الثمرة من الشجرة. ويمكن أن يكون الفصل لشبهه كمال الاتصال الذي تُجيب فيه الجملة الثانية عن سؤال أثارته السابقة عن السبب في أنه لم يوجد أحدٌ يقي الكافرين عذاب الله؛ فتأتي هذه الجملة لتوضِّح الإجابة، ولتُفَصِّلَ عنها كما يُفَصِّلُ الجوابُ عن السؤال.

غرضُ التَّعبيرِ باسم الإشارة البعيد «ذَلِكَ»:

العذاب الذي
أُخذ به الكافرون
بلغ في القوة
والإهلاك مبلغاً
كبيراً

عبَّرَ النظمُ الكريمُ باسم الإشارة الموضوع للبعيد «ذَلِكَ» في قوله: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ»، وذلك بقصد "الإشارة إلى المذكور، وهو أَخَذُ الله إِيَّاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ"⁽¹⁾؛ لتعظيم العذاب الذي أُخِذَ به الكفار، والدلالة على بلوغه في القوة والإهلاك مبلغاً كبيراً، وامتلائه بصنوف المهلكات المروعة، الذي قاد إلى تمثله وتخيُّله تضامُّ الحروف في «ذَلِكَ» لتؤدِّي هذا المعنى، فإنَّ الدَّالَّ للإشارة، والألف للتقوية، واللام للبعد، والكاف للخطاب،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24 / 121.

وكلّ ذلك مبنيّ بما اجتمع عليهم وسيق إليهم من هلاكٍ مطبقٍ من أمر ذي الملك والملكوت.

معنى الباء في ﴿بِأَنَّهُمْ﴾:

الباء في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ للسببية، والمعنى: أن ذلك الأخذ حصل بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات، فكفروا⁽¹⁾.

نكتة التوكيد في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ﴾:

جاء البيان الموضح سبب الأخذ والإهلاك مؤكّداً بـ (أنّ) والجملة الاسمية في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ للتشنيع بهم، وتقبيح صنيعهم، بتأكيد كفرهم بالله تعالى، واجترائهم على تكذيب رسله، واستهانتهم بالوعد الذي أنذروا به، ولتأكيد أنهم الذين جلبوا العذاب لأنفسهم؛ بسبب إصرارهم وعنادهم.

دلالة التعبير بالفعل الماضي ﴿كَانَتْ﴾:

عبّر النظم الكريم في الجملة السببية بالفعل الماضي ﴿كَانَتْ﴾؛ للدلالة على تحقق الإتيان، وحصوله حصولاً مؤكّداً من غير شك ولا ريب، ما يعني: أنّ الكفر صار أمراً متغلغلاً في كينونتهم، وأنّ الله لم ينزل بهم العذاب إلّا بعد أن وصلوا في الكفر درجة لا يرجى معها الإيمان، ولا يتوقّع حصوله منهم.

نكتة التعبير بالمضارع ﴿تَأْتِيهِمْ﴾:

عبّر النظم الكريم بفعل الإتيان مضارعاً فقال: ﴿تَأْتِيهِمْ﴾؛ للدلالة على تجدد الإتيان مرّة بعد مرّة لمجموع تلك الأمم، أي: يأتي لكلّ أمةٍ منهم رسول⁽²⁾، وللدلالة على تجدد الإنذار مرّة بعد مرّة، وتجدد قيام كلّ رسولٍ بإبلاغ قومه بما يتجدّد نزوله عليه. والتّقرير أنّ التّكذيب برسول واحد تكذيبٌ بجميع الرّسل، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

الكافرون
أَصْرَوْا على
تكذيب الرّسل
مع مجيئهم
بالبيّنات

الله تعالى لم
يُنْزِلْ الْعَذَابَ
بِالْكَافِرِينَ
إِلَّا بَعْدَ أَنْ
تَغْلَغَلَ الْكَفَرُ فِي
نَفُوسِهِمْ

كلّ رسولٍ يُجَدِّدُ
إِبْلَاغَهُ لِقَوْمِهِ
بِمَا يَتَجَدَّدُ نَزْوُهُ
عَلَيْهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 121/24.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 121/24.

نُكْتَةُ إِضَافَةِ الرِّسَالِ إِلَى ضَمِيرِهِمْ:

لكل أمة رسولٌ
خاص بها،
قام بإبلاغها
وإنذارها
وأضيفت إليه

جاء بلفظ (رُسُل) مضافاً إلى ضمير الكافرين السابقين في قوله: ﴿رُسُلُهُمْ﴾؛ للإشارة إلى تخصيص الله تعالى رسولاً لإنذار كل أمة من الأمم الهالكة، حيث اختص هوداً بإنذار عاد، واختص صالحاً بإنذار ثمود، واختص موسى بإنذار فرعون، وهكذا كان لكل أمة رسولٌ خاصٌ بها، قام بإبلاغها وإنذارها وأضيفت إليه.

معنى الباء في قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾:

تأييد الرسل
بالبينات
هدفه الجرس
على مصلحة
أقوامهم

الباء في قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ حرفٌ جرٌّ يُفيد الإلصاق، وهو أصلٌ معانيه، وفي التعبير به إشارةٌ إلى أنَّ الدلائلَ البينات والمعجزاتِ الباهرات، كانت مصاحبةً لقيام رسلِ الله بإنذار أقوامهم وتبليغهم رسالة ربهم؛ حرصاً على أن يستجيبوا لهم، وأمثلاً في أن يؤمنوا بهم، ويتَّبِعُوا النُّورَ الذي أنزل معهم، لينجوا من العقاب.

معنى (أَلْ) في ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾:

الأدلة التي جاء
بها الرسل بلغت
في الوضوح
مبلغاً لا يسع
منصفاً إنكارها

(أَلْ) في قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ لتعريف العهد، والمقصود بها: المعجزاتُ التي أيد الله تعالى بها رسله، وذاع خبرها وانتشر أمرها حتى وصل إلى أسماع مشركي مكة وغيرهم، كعصا موسى، وناقاة صالح، وغير ذلك ممَّا هو معروف، ولا ينكره أحدٌ. وأوثر التعبيرُ عنها ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ "لأنَّها بلغت في وضوح الأمر مبلغاً بحيث لا يسعُ منصفاً إنكارها"⁽¹⁾.

معنى الفاء في ﴿فَكَفَرُوا﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَكَفَرُوا﴾ تُفيد بجانب التَّسبُّب معنى التَّعْقِيبِ، ما يفيد: أنَّهم أعلنوا كفرهم برسول الله، وأنكروا ما جاؤوهم به، من غير أن يتدبروه، أو يتفكروا فيه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 47/17.

نُكْتَةُ حَذْفِ متعلق الكفر:

جاء بالفعل (كفروا) في قوله: ﴿فَكْفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ محذوف المتعلق لما يُفيدُه حَذْفُه من عموم المعنى وشموله كل ما جاءهم به الرسل الكرام من الوحي والآيات البيّنات، والوعد والوعيد وغير ذلك. أو لأن الفعل نُزِلَ منزلة اللازم للدلالة على أنّ الكفر كان غايته وقصدهم من غير أن يتعرفوا المكفور به أو يتبينوه.

معنى الفاء في ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ تُفيد بجانب التّسبب معنى التّعقيب والإسراع، ما يعني: أنّ الله أهلكهم على وجه السرعة والقوة، فلم يصعب أخذهم عليه، ولم يستغرق منه وقتاً، بسبب كفرهم به سبحانه، وتكذيبهم رسله من غير روية ولا تفكير.

بلادة الجازي في لفظ الأخذ:

تعبير البيان عن عقاب الكفار السابقين بالأخذ في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ استعارةً تصرّحية؛ "شبه فيها نزول العذاب والاستئصال بهم بالمأخوذ باليد، المتصرف فيه بحكم إرادة الأخذ"⁽¹⁾، بجامع التمكن والاقتدار في كل، ثم استعير الأخذ للعذاب والاستئصال على سبيل الاستعارة التصرّحية التبعيّة، التي تصوّر سهولة أخذ الله تعالى وإهلاكه هؤلاء المشركين على الرغم من قوتهم وشدتهم، كما أنّها تبث الرعب في نفوس المخاطبين؛ لما تؤكد من قدرة الله على إهلاكهم، كما أهلك من سبقوهم ممن كانوا أشد منهم قوةً وأثّاراً في الأرض.

نُكْتَةُ تَكَرُّرِ قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾:

كَرَّرَ النّظْمُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ "بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمَ نَظِيرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ لِتَقْرِيرِ أَخْذِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بِكُفْرِهِمْ

الكفار لم
يتعرفوا للكفور
به أو يتبينوه

استئصال
المشركين
السابقين تم
على وجه من
السرعة والقوة

التعبير بالأخذ
يبث الرعب في
نفوس المخاطبين
ويحذّرهم من
مثله

في تكرار التعبير
بالأخذ تحذير
للمخاطبين
من أن يحصل
لهم ما حصل
للسابقين

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 39 / 3.

بُرْسُلِهِمْ، وَتَهْوِيلاً عَلَى الْمُنْذِرِينَ بِهِمْ أَنْ يُسَاوَوْهُمْ فِي عَاقِبَتِهِمْ كَمَا سَاوَوْهُمْ فِي أَسْبَابِهَا⁽¹⁾.

نُكْتَةُ فَصْلِ جَمَلَةٍ: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

الخالقُ القويُّ
الشديدُ لا
يُعجزُهُ هؤلاء
المخلوقون مهما
بلغت قوتُهُم

جاءت جملة: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ مفصولةً عما قبلها لكمال الاتصال الذي تُنزلُ فيه الجملةُ الثانية من سابقتها منزلةً الثمرة من الشجرة، إذ تُعدُّ جملة: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ بمثابة التقرير والتأكيد لأخذ الله تعالى المشركين السابقين على وجه من القوة والسَّريعة، إذ الخالقُ القويُّ الشديدُ لا يُعجزُهُ هؤلاء المخلوقون مهما بلغت قوتُهُم، ولا يُعجزُهُ كذلك أحدٌ غيرُهُم. ويمكن أن يكون الفصلُ لشبه كمال الاتصال، الذي تُجيب فيه الجملةُ الثانية عن سؤال أثارته الجملةُ السابقة في نفس المتلقي عن السبب في أخذ الله الكافرين السابقين على وجه من القوة والسَّريعة، فتأتي الجملةُ المفصولة لتُجيبَ عنه، ولتُفصلَ عما قبلها كما يُفصل الجوابُ عن السؤال.

غرضُ تتابعِ المؤكِّدات في فاصلة الآية:

القوةُ والشَّدةُ
صفتان لازمتان
لردع المشركين
وتحذيرهم

جيء بقوله: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ مؤكِّداً بـ(إِنَّ) والجملةُ الاسمية؛ لتحقيق وتأكيد اتِّصاف الله تعالى بالقوة والشَّدة اللّازمتين لتحذير مشركي مكة وما حولها بصفة خاصّة، وتحذير المشركين بصفة عامّة من أن ينهجوا نهج السابقين، ويستمرّوا على ما هم فيه من الإعراض والكفر، لئلا يأخذهم الله تعالى أخذَ غَضَبٍ وانتقام، كما أخذ الكفّار الذين سبقوهم، ولأنّه سبحانه قضى أن تكون رسالةُ محمد ﷺ رحمةً عامّةً، اشتدّ عليهم نكيرُهُ، واشتدّ تحذيرُهُ.

نُكْتَةُ إِضْمَارِ اسْمِ الْجَلَالَةِ بَعْدَ إِظْهَارِهِ:

في جملة: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾ عبّر البيانُ الكريم بالضمير دون الاسم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 121/ 24.

تعيين المتحدّث
عنه واستحضاره

الظاهر؛ جرياً على الأصل في التعبير عن العلم الذي سبق ذكره بالضمير، لما يفيدُه التعبير بالضمير من استحضار المتحدّث عنه وتعينه تعيناً يحول دون صرف الحديث عنه إلى شيء آخر، والمعنى: إنّ الله الذي أخذهم قوياً شديداً العقاب، وفيه القصد إلى سرعة الإنهاء إليهم، وتنزيه الله من أن يكثر ذكره باسمه الأعظم أمام المشركين إلا لضرورة، وأنّ الضمير أعرف المعارف، وأنّ الله يُثني عليه بالإيجاز كما يُثني عليه بالإطناب، وأنّ قطع دابر الذين ظلموا آية من آيات الله.

نُكْتَةُ خَتَمِ الآيَةِ بِالْأَسْمَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ:

خَتَمُ الآيَةِ بِجُمْلَةٍ «إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ» المشتَمَلَةِ عَلَى اسْمِي «قَوِيٌّ» و«شَدِيدٌ»، يجعلها كالتذييل المؤكّد لما سبقها، من أنّ الله قادرٌ على أخذ الكافرين وإهلاكهم - بسبب كفرهم به وتكذيبهم رسله - على وجه من السرعة والشّدة، "فالقوي لا يُعجزه شيءٌ، فلا يُعطّل مُرادُه ولا يترَيثُ، و«شَدِيدُ الْعِقَابِ» بَيَانٌ لِذَلِكَ الْأَخْذِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ» (٤٢) [القَمَر: 42] (١).

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ «قَوِيٌّ»:

جاء بالخبر «قَوِيٌّ» نكرةً مُنَوَّنًا، لما يفيدُه التَّنْكِيرُ والتَّنْوِينُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ اللَّازِمَيْنِ لَتَحْذِيرِ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَمَنْ يَنْهَجُ نَهَجَهُمْ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى أَخْذِهِمْ أَخْذًا عَظِيمًا، إِنْ هُمْ اسْتَمَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

غرض الترتيب بين الاسمين الجليلين:

بدأ النظم الكريم بذكر اسم الله القوي لمناسبته للأخذ والاستئصال، ولتأكيد قدرة الله تعالى على إنزال العذاب على وجه من الشّدة والسرعة المفهوم من التعبير بفعل الأخذ المعطوف على

القوي لا يُعجزه
شيءٌ، فلا
يُعطّل مُرادُه ولا
يترَيثُ

قوة الله تعالى
لا تعدلها قوة،
ومن توهم غير
هذا فلا عقل له

البداء بالقوة
يناسب الأخذ،
والتنبيه بالشّدة
تدفع توهم
ضعفه

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 121 / 24.

فعلِ الْكُفْرَ بالفاء، وتثني بـ ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ لدفع ما قد يُتَوَهَّم من أنَّ الأخذَ بِسُرْعَةٍ يُمكن أن يُقلِّل من شِدَّةِ العقاب وقوَّته، ولأنَّ ما يتعلَّق بنوعيّة الأخذ وكيفيّته يأتي تاليًا لما يتعلَّق بالقُدرة عليه.

دلالة الإضافة في قوله: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

عقابُ الله
شديدٌ أليمٌ لأنّه
يأتي بعد إنذار
وتحذير وإمهال

﴿الْعِقَابِ﴾ مأخوذ من: التّعقيب والمعاقبة⁽¹⁾، وفاعل الذنب يستحقُّ العقوبة بعد فعلِ الذنب مباشرةً بدون تأخير؛ أي: يستحقُّ العقابَ مباشرةً في الدنيا، ولكنه سبحانه قد يُؤخِّره، لعلّه يتوب ويسقط عنه؛ فالعقاب: يقع في الدنيا فقط، بينما العذابُ قد يُؤخَّر، وقد يقع في الدنيا والآخرة⁽²⁾، وفي قوله: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ عبَّر النّظْمُ عن وصف الشّدّة الواقع خبرًا ثانيًا للحرف النَّاسِخ بصيغة المبالغة مع إضافته إلى ﴿الْعِقَابِ﴾؛ للدلالة على أنَّ الله تعالى إذا أنزل العقابَ فإنَّ عقابه يكون شديدًا أليمًا، لأنّه يأتي بعد إنذارٍ وتحذيرٍ وإمهالٍ.

معنى (أل) في ﴿الْعِقَابِ﴾:

(أل) في ﴿الْعِقَابِ﴾ لتعريف الجنس، وفي التعريف بها دلالةٌ على أنَّ أيَّ عقابٍ يُنزله الله بالمُشركين يكون شديدًا أليمًا، سواء أكان ذلك فيما مضى أم فيما هو آتٍ.

❁ **الفروق المعجميّة:**

الأخذ والإهلاك:

الأخذُ هلاكٌ على
وجه السرعة
والشّدّة،
والإهلاك يكون
بالموت أو الشّدّة
أو الفقر

الأخذُ في الأصل: حَوَظُ الشَّيْءِ وَجَبِيْهُ وَجَمْعُهُ. تَقُولُ أَخَذْتُ الشَّيْءَ أَخْذَهُ أَخْذًا⁽³⁾، تارةً بالتَّناوُل نحو: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَلَعْنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: 79]، وتارةً بالقَهْر نحو: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

(1) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 240.

(2) الهلال، تفسير القرآن الثّريّ الجامع: 47/24.

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخذ).

الصَّيْحَةُ [هود: 67]⁽¹⁾، وهو: العقاب المباغت السريع، يقال: أخذ فلان الموت، إذا نزل به بسُرعة وقوّة⁽²⁾.

والهلاك يدلُّ على كَسَرٍ وسُقُوطٍ. ويُقالُ لِمَيِّتٍ: هَلَكَ، قال تعالى: **﴿إِنَّ أَمْرًا هَلَكًا﴾** [النساء: 176]، وقال مُخْبِرًا عن الكفَّار: **﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾** [الجاثية: 24]، ويقال للعذاب والخوف والفقر: الهلاك، وعلى هذا قوله: **﴿وَأِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** [الأنعام: 26]، وقوله: **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾** [مريم: 74]⁽³⁾.

ولمَّا كان الحديث عن العذاب الموجِب للموعظة والاعتبار ناسبَ التعبير بمفردة (الأخذ) الدَّالَّة على العقوبة السريعة على وجه من القوّة والشّدّة، دونَ (الإهلاك) الذي قد لا يُفهم منه ذلك؛ لدلالته على الموت والشّدّة والفقر، فإنَّ كلَّ أحدٍ يهلك يعني يموت، وفي القرآن المجيد: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [القصص: 88].

(1) الزّاغب، مفردات القرآن: (أخذ).

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 272 / 7.

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّاغب، مفردات القرآن: (هلك).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزمر من الآية 73 إلى سورة غافر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزمر من الآية 73 إلى سورة غافر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.

مج. 51، 822 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-642-97-8

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 51: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزمر من الآية 73 إلى سورة غافر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-642-97-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»